

186- فتحة ملف الإدمان (3)

فروض محتملة في خلفيّة الإدمان

الفرض: ليس سؤالاً يحتاج إجابة، الفرض "إجابة محتملة".
الفرض الجيد هو الذي يولد فروضاً أكثر إفادة وإبداعاً سواء
نقّته محاولات تحقيقه أو أثبتته.

وفيما يلي ما عنّ لنا من خلال الممارسة الإكلينيكية من
فروض من خلال قراءة ظاهرة الإدمان:

1- إن ظاهرة الإدمان ظاهرة مرتبطة بحركية الوعي بقدر
ارتباطها بالأوضاع الاجتماعية.

2- وهي ظاهرة نفسية يمكن أن تصاغ باستعمال أجدية
الصحة والمرض.

3- وهي ظاهرة فيها إشارات دالة تتعلق بمسار حضارة
الجنس البشري وتهديدات انقراضه في الوقت الحالى.

4- وهي تعلن في نفس الوقت طبيعة مجتمع بذاته، بقدر ما
هى نذير صريح يتعلق بمسار الجنس البشرى عامة.

5- كما أنها تشير إلى ماهية الاحتياجات غير المشبعة وبعض
طرق إشباعها السلبية، مع الحاجة إلى إشباع إيجابي بديل.

6- أى أنها توحى بضرورة البحث عن بديل لها، بقدر حرصنا
على التخلص منها.

ملاحظات إكلينيكية

تبين لنا من خلال الممارسة على أرض واقعنا ونبيض ثقافتنا
أن الملامح الأكثر شيوعاً التى يتصف بها المدمن إنما تشير إلى سمات
أكثر مما تشير إلى أعراض، وهى ليست خاصة بالمدمن (إذ هو
مدمن) بقدر ما هى دالة على اضطراب نمط الشخصية الذى جاء
الإدمان يعلنه ويؤكدّه.

وبدون الدخول في تفاصيل محاولة فض الاشتباك بين السبب
والنتيجة، أجد من المناسب تقديم الملاحظات التى تواترت في

خلفيات الوعي العام، والوعي الخاص، المشتمل لظاهرة الإدمان والمسئول - عموماً - عن إفرازها بما قد يترتب على هذه الملاحظات من تفسيرات محتملة، وذلك تمهيد لقراءة إجماعات الظاهرة من أكثر من بعد.

وفيما يلي بعض ما لاحظناه خلال الممارسة العلاجية المكثفة في وسط علاجي خاص

1 - اهتزاز السلطة (الوالدية، وما يقابلها).

إن اهتزاز السلطة، بما يعنى تذبذب حضورها، وغموض أدائها، وتناقض رسائلها، هو أكثر خطراً من سوتها أو حتى غيابها كما سيأتى في عرض الحالات.

2- الوحدة أو التهديد بالوحدة.

لا نعنى بذلك فقط كلاً من الوحدة الفعلية، أو الانطوائية أو حتى الشيزيدية، وإنما نعنى أساساً الوحدة الوجودية الغائرة، التى لا يعبر عنها المدمن عادة إلا بعد تعريتها بكشف المستور بالمخدر أو بالمرض.

3- ميوعة الهدف (الوجودى، وإلى درجة أقل: الأهداف الحياتية العاجلة).

نعنى بالهدف الوجودى "معنى الحياة"، وغايتها، وليست الأهداف المتوسطة الهامة بين الميلاد والقبور، وعادة لا يظهر هذا الهدف على السطح الواعى، إلا في أزمت النمو، وفي بعض بدايات المرض، ومن خلال كثير من الإبداعات، لكننا نستنتج افتقاد نفس هذا الهدف بعد التورط في الإدمان.

4- غموض المعلومات (والتعليمات).

لا نعنى بذلك: القدرة على تحمل الغموض، ذلك أن هذا المفهوم هو مخالف تماماً لما هو الافتقار إلى الحصول على معلومات ذات معالم محددة.

"تحمل الغموض" هو علامة من علامات النضج في محاولة الإحاطة بمعلومات واضحة محددة، وفي نفس الوقت هى هى معلومات متناقضة معاً، هذا موقف إيجابي رائع، حيث لا نصل إلى استيعابه إلا بعد مشوار طويل من محاولات استيعاب موضوعي لواقعنا داخلنا وخارجنا.

أما ما نقصده هنا من "غموض المعلومات والتعليمات" فهو يشير إلى حالة تكون فيها المعلومات مائعة مهزوزة من البداية، بحيث لا تمثل أجدية يمكن أن نعمل منها جملة مفيدة فإن هذا يسهم فيما أسميناه حالا (بند 3) ميوعة الهدف، وبالتالي التخبط، فالانسحاب والظلام والهرب، الذى أحد وسائله وأسفله: تناول مواد الإدمان لتساعد على الهرب بعيداً عن تناقض غير محتمل.

5- جمود حركية النضج.

الطبيعة البشرية عبر التاريخ، والتي أكدت ماهيتها مؤخرًا من منطلق مدارس النمو مجتمعة، تقول: **إن الكائن البشري الفرد لا يكف عن النمو منذ الولادة حتى القبر**، وبالتالي يكون التوقف النهائي عند أي مرحلة من مراحل النضج هو ضد الطبيعة البشرية، هذا التوقف بالذات هو الذي نسميه عادة: **اضطراب الشخصية**، وأحيانًا ما يكون ذلك موضع فخر في المجتمعات التقليدية أو تحت تأثير سلطة قامعة جدا. (يحيا الثبات على المبدأ، يحيا الثبات على ما نحن فيه).

المدمن يكسر هذا الجمود والتوقف بتحريك كيميائي مغامر (الملقحة الكيميائية لتحريك الوعي الساكن) فيقع في الورطة لأنه تحريك مفتعل زائف، تحريك لم يتحضر له بالطريقة السليمة خلال زمن كاف، ويصاحب ذلك آليات مساعدة لهذا التوقف عن النمو مثل:

أ- **ضعف فرص تحريك الإبداع اليومي العادي**، (الابداع اليومي مثل معايشة الحلم واستيعاب آثاره (وليس تفسيره) أو الحفاظ على الدهشة، والتدريب على المبادأة... الخ.

ب- **التوقف عند حدود الذات تماما (الذاتوية)**: ويشمل عادة إلغاء الآخر، والتعامل مع "الموضوع"، الآخرين، بإسقاط مُلاحق، فلا يرى حقيقتهم بل يقلبهم إلى تصوّره عنهم.

ج- **باختفاء الزمن كبعد مستقل** واعد فاعل مطمئن.

وهذا أمر صعب رصده، لكنه مرتبط بما يشبه "السير في الخلل"، أي الحركة الخادعة بلا تقدم ولا تغير، مهما تغير الزمن الموضوعي داخلنا وخارجنا.

6- عدم كفاية الإدمانات البديلة.

الإنسان مدمن بطبعه، بمعنى أن من أساسيات طبيعته أن يعيد أداء أو ممارسة سلسلة معينة من الأفعال أو المشاعر أو الرؤى بشكل يتكرر بحيث ترتبط حياته واستمراره بهذا التكرار، ونسمى مثل "ذلك إدمان" بمعنى "التعود الملزم"، الذي إذا انقطع عنه صاحبه ظهر ما يشبه "أعراض الانسحاب"، يحدث هذا ويسمى إيجابيا إذا كان تعودا نافعا في النهاية، مثل إدمان الصلاة، وإدمان تلاوة "ورد" ما، وإدمان هواية ما، وبعض إدمانات الخاسوب (ليس كلها) ... إلخ....، فإذا كان الأمر كذلك، فإن عدم احترام هذه الطبيعة والعجز عن استيعابها يترتب عليه البحث عن تعويضها بأي أسلوب، ومن ذلك التعود السلبي على ما يضر ويسم، ويقتل أحيانا (= الإدمان).

7- فرط الدعاية لما يسمى مجتمع الرفاهية، مع العجز عن تحقيقه.

أشرنا في نشرات سابقة إلى النموذج الطبي المكنى التسكين وعلاقته بما يسمى "مجتمع الرفاهية"، والنفس المطمئنة سلبا.

هذا الأمر لا يقتصر على الطب، بل إن الترويج لنوع الحياة

الاستهلاكية، والهدف الترفيهي لذاته يمكن أن يساهم في تأكيد غاية الراحة والسكينة الزائفة دون أن يحققها أو يرسم الطريق الممكن لتحقيقها، فإذا ما جرب من وصلته هذه المفاهيم، ثم هو يفاجأ بصعوبة - أو استحالة - تحقيقها، ثم وجد - بالمصادفة أو "بعزومة" سهلة - أنه يمكن تحقيق هذا الوهم بأسهل الطرق، في ساعات أو دقائق، فما الذي يمنعه أن يتمسك بها وكأنها هي التي دعونه إليها دون أن يدري، ولسان حاله يقول: "مش انتوا اللي قلتوا"؟؟؟!

8- ضعف الحوار (الحقيقي) على مستوياته المختلفة، مع الضيق بالاختلاف

لا نعى هنا بالحوار النقاش أو تبادل الكلام، وإنما نشير إلى كل أنواع الحوار (أنظر يومية 2008-2-25) وخاصة حوار المواكبة.

الإنسان لا يكون إنساناً، ولا تتخلق ذاته إلا بالحركة الإيقاعية في رحاب "آخر" يفعل نفس الشيء، وأول مظاهر الافتقار إلى هذه الفرصة قد يظهر في صورة الشعور بالوحدة، أو العجز عن التواصل، وقد يزيّف بإسقاط ذوات من ذاته كما قلنا في بند (2) بديلاً عن الآخرين كموضوع حقيقي، التماهى في تغيير الآخر أو إلغائه ليس مطلباً لأحد، لكنه ورطة تربوية عادة، وحين لا يستطيع من يغرق فيه أن يصححه، فإن الإدمان يوهمه بالقدرة على تعويضه: إما بحوار خاص بلغة خاصة مع من ينتمون إلى ثقافته الجديدة: ثقافة الإدمان، وإما بحوار وهمي مع ذوات داخله.

9- تناؤل فرص النكوص التكيّفي الجماعي المشروع.

الحركة للأمام والخلف، والحركة بالطول وبالعرض، والحركة بالجسد وبالوعي، هي جزء لا يتجزأ من الحياة عامة ومن الطبيعة البشرية خاصة، نحن بالذات (أعني في مصر ومن إليها) لم نعد:

نرقص معاً،

- ولا نغنى معاً، ولا حتى أغاني العمل،
- ولا "نذكر" في الموالد معاً (إلا قليلاً)،
- ولا نلعب على البحر معاً،
- ولا نسافر إلى الصحراء معاً.. إلخ

المواد الإدمانية تعرض علينا بديلاً سريعاً جاهزاً، فهي قادرة أن تحررنا حركة زائفة من الوضع "جلوساً".

الشخص الذي يحرم من كل هذه الحركية الطبيعية، ثم يعثر عليها إثر حقنة أو برشامة، أو نفس يلوح له باستعادة حركته الطبيعية، لا يملك إلا أن يتمادى فيها (افتعالاً) ثم خذ عندك.

10- شيوع المفاهيم الناقصة حول الحرية، وما شابه من مفاهيم فارغة من مضمونها:

مثل الديمقراطية، والمساواة.. الخ (مع الممارسة العكسية).
الإدمان يحقق الحرية (الزائفة أيضا) حين يكسر الحدود ويسحب وعى صاحبه بعيدا عن الواقع، كما أنه يحقق نوعا آخر من الحرية حين يلغى المدمن جدلية ذواته لحساب الوعى المنفصل الجديد، فهي حرية بالانفصال وليس بالسعى معاً،
ترتبط بذلك مفاهيم عديدة "تستعمل من الظاهر" أو تستعمل بالإبعاد" لغيرها إن صح التعبير (مما لا مجال لتفصيله الآن).

وبعد

هذه ليست الأسباب المباشرة للإدمان بالذات، والناظر فيها بتأمل يمكن أن يدرك أنها يمكن أن تكمن وراء أى مرض نفسى، أو حتى وراء اغتراب حياتى عادى، كما أنها ليست كل الخلفية، فثمة عوامل أخرى مثل التهديد ببدايات التفسخ، أو التهديد بهجمة الرؤية المؤلمة (فرط الوعى / الاكتئاب المواجهى) أو غير ذلك، مما سيأتى ذكره مع عرض الحالات.

نحن مازلنا فى المقدمة النظرية، وبعد أن استوفينا بعض ما يبدو أنه "لماذا"؟ يمكن أن ننتقل إلى: "ما هذا؟".

وغداً موعدنا مع:

"ماذا تقول ظاهرة الإدمان؟"

أرسل تعليقك

TheManAndEvolution-FORUM@arabpsynet.com

http://www.rakhawy.org/a_site/everyday/sendcomment/index.html

The Man & Evolution FORUM Web Site

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/>

All Interventions: The Man & Evolution FORUM Messages

<http://fr.groups.yahoo.com/group/TheManAndEvolutionForum/messages/1>

Pr. Yahia Rakhawy Web Site

http://www.rakhawy.org/a_site